# مركزية النَّصِّ القُرْآني
# في حقل الثقافة العربية الإسلامية[1]

**من إعداد الاستاذ الدكتور بلحسين محمد**

**. جامعة ابن خلدون تيارت .**

**ملخص :**

لقد كل علوم الآلة المختلفة في حقل الدراسات العربية في ظلال النص القرآني وهي تحاول مقاربته، فعلم المعجم قارب مصطلحاته، وعلم النحو راح يحيط هذا الكتاب المقدس بجملة من القواعد والضوابط لأجل حفظه من اللحن والزلل والعلوم الشرعية التي نقصد في هذا المقال هي العلوم التي يفهم بها هذا الدين، أما العلوم العقلية فهي التي تحتاج إلى إعمال فكر من اجل الوصول إلى مقاصد الخطاب القرآني الذي كلف به الشارع تعالى عباده المكلفين/ ولن يكون الوصو إلى هته الغاية إلا عن طريق علوم اللغة المختلفة من نحو ومعجم وبلاغة وغيرها من علوم اللغة

**الكلمات المفتاحية :**

المركزية؛ الدراسات العربية والاسلامية؛ الخطاب؛ الشرعية؛ العقلية.

***Abstract,***

***Coranic text centrality in the field of Arabic Islamic culture***

*All types of knowledge that formed the Arabo Islamic culture are concentrated in mind science and transmission science , and transmission science have left no place for reason except through analogy and reference , and are divided into two , genuine such as religious philology and basics of islam and*

[1] تاريخ الايداع : 03/12/2017 تاريخ الموافقة : 21. 01. 2018

*sciences that are belonging or auxiliary which are called science of machine , these are sciences that help to reach language purposes through all levels and aims , like grammar , vocabulary ,and other science of speech .*

*All these sciences were preserved and continuous because of coran .*

**تمهيد:**

قبل الولوج إلى الموضوع نحدد مقصودنا من مصطلح الثقافة، حتى نبني ادعاءاتنا على قاعدة متفق عليها، فهذا المصطلح يتداخل كثيرا مع مصطلح آخر من نفس الحقل وهو "الحضارة" التي تتحدد بأنها "عبارة عن مجموعة الأفكار والمشاعر والأنظمة الّتي تصوغ طريقة العيش في مجتمع من المجتمعات"، أو بأنها "تلك المنظومة المعقّدة من المعارف والعادات والأخلاق والقوانين الّتي اكتسبها الإنسان من مجتمعه الّذي يعيش فيه"، "وإذا كان البعض يساوي بين مفهومي الثقافة والحضارة، فإنّنا نرى بعض التمايز بين المصطلحين، ذلك أنّ الثقافة تحمل مدلولاً أوسع من الحضارة، فهي تُطلق عادة على المعارف العقليّة لدى الإنسان، إلاّ أنّ هناك ميلاً لدى كثير من المفكّرين والكتّاب إلى إخراج "المعارف العلميّة البحتة" من مدلولها، ذلك أنّ تلك الأخيرة تتّسم بالسمة العالميّة والتواصل المطّرد، وإن كانت تعبُر في هذا التواصل من خلال الحضارات والشعوب والأمم المتعدّدة، بينما تكون الثقافة في العادة سمة لحضارة أو شعب أو أمّة أو لغة أو حتّى فرد، فالثقافة قد تُنسَب إلى حضارة معيّنة فتكون في مدلولها قريبة إلى حدّ كبير من الحضارة، وإن بقيت تحمل مدلولاً أوسع، فالثقافة الإسلاميّة مثلاً، هي مجموع المعارف الّتي كانت العقيدة الإسلاميّة سبباً في بحثها، مثل علم التوحيد والفقه والتفسير والحديث وعلوم اللغة العربيّة ــ بوصفها لغة القرآن ــ ومصطلح الحديث وعلم أصول الفقه...ولتوضيح مجال الوفق والفرق بين "الثقافة" و"الحضارة" نقول :إنّ الحضارة هي ذلك الجانب من الثقافة الذي تحوّل إلى مفاهيم مشتركة في مجتمع ما بحيث شكّل عرفاً عامّاً له وصاغ مشاعر الناس فيه واستأثر برعايّة شؤونهم، فجعله مجتمعاً معيّناً ذا شخصيّة خاصّة وهويّة متميّزة، وبناءً عليه، من الخطأ إدخال المعارف الثقافيّة الّتي لم تتحوّل إلى واقع يعيشه الناس في مجتمعهم في مفهوم الحضارة، فإذا كانت الثقافة الغربيّة الحديثة والمعاصرة -على سبيل

المثال- تحوي العديد من التيّارات الفكريّة المتفاوتة - وربما المتضاربة - فلا يصحّ أن نُدخل في مفهوم "الحضارة الغربيّة" إلاّ تلك الّتي وجدت قبولاً لدى الرأي العامّ، فتحوّلت عرفاً عامّاً أسهم في صياغة المجتمع ونمط عيشه، وأمّا ما سواها فإنّها تبقى ثقافات فرديّة مهما كثر أتباعها من"الأفراد"، وبتعبير مختصر:إنّ الحضارة هي "الثقافة المُكَوِّنة للمجتمع"[2].

نخلص من هذا إلى أن الثقافة العربية الإسلامية ــ بعد حذف المشترك العالمي منها، وبعد التركيز على الجانب الحضاري فيها ــ هي المعارف العقلية التي كان الإسلام سببا في بحثها، وتحولت فيما بَعْدُ إلى مفاهيم مشتركة صاغت العقل العربي الإسلامي بنمط مميز عما سواه.

وإذا كانت الثقافة العربية الإسلامية مُسَبَّبَةً عن الإسلام، فإن مدار الإسلام على كتابه الخالد: "القرآن العظيم"، وعليه فالقرآن مركزيُّ الحضور في صياغة الثقافة المذكورة، وهو ما نَدَّعيه هنا ونسعى إلى التدليل عليه من خـلال استعراض عناصر ومفردات المُنْتَج الثقافي العربي الإسلامي ومن ثَمَّ نقرر كيف حضر "القرآن الكريم" في حركتها نشأةً وتوجيها وتَكَيُّفًا، كلٌّ بحسبه.

## ـــ مفردات الثقافة العربية الإسلامية:

إن المعارف التي شكلت الثقافة العربية الإسلامية تنحصر في العلوم العقلية والعلوم النقلية، أما الأولى فهي الصنف الطبيعي من العلوم لأن الإنسان يهتدي إليها بطبيعته البشرية وعلى رأسها الفلسفة والحكمة، وقد تبين لك سالفا أننا نستثنيها هنا لأنها في الغالب من المشترك الذي لا يختص بأمة دون أخرى إلا في بعض التشكلات، أما العلوم النقلية فهي التي لا مجال للعقل فيها إلا من جهة القياس والإلحاق، وتنقسم هذه باعتبارٍ ما إلى قسمين: علوم أصلية غائية تطلب لذاتها كالفقه، وعلومٌ تبعية مساعِدَةٌ، وتسمى علوم الآلة كسائر علوم العربية، وباعتبارٍ آخَرَ تنقسم إلى علوم نقلية شرعية، وعلوم نقلية لغوية:

[2] عن مفهومي الثقافة والحضارة ينظر:أحمدالقصص،نشوء الحضارة الإسلامية،ص 18 إلى 24.

**فالشرعية:** منها علم التفسير والتجويد والقراءات وعلوم القرآن وعلوم الحديث من إسناده ومصطلحه ورجاله وجَرْحِه وتعديله وعِلَلِه وغيرها، وعلم الفقه وعلم أصول الفقه، وعلم الكلام، وغيرها.

**واللغوية:** منها علم اللغة والنحو والصرف والبيان والأدب والعروض والقوافي وغيرها[3].

قال ابن خلدون في بيان اختصاص هذه الأمة بتلك المعارف:"وهذه العلوم النقلية كلها مختصة بالملة الإسلامية وأهلها، وإن كانت كل ملة على الجملة لا بد فيها من مثل ذلك، فهي مشاركة لها في الجنس البعيد من حيث إنها علوم الشريعة المنزلة من عند الله تعالى على صاحب الشريعة المبلغ لها، وأما على الخصوص فمُباينةٌ لجميع المِلَل، لأنها ناسخة لها، وكل ما قبلها من علوم المِلَل فمهجورة، والنظر فيها محظور"[4].

فهذا النص الخلدوني يؤكد على ما قررناه من أن الثقافة الإسلامية هي ما اختصت به أمة الإسلام دون ما سواها، بحيث طَبَعَها بطابَعه وطَبَعَتْه بطابَعها، ويوضح ذلك أكثر حينما يقرر مركزية الوحي المنزل في تأصيل تلك المعارف فيقول:"وأصل هذه العلوم النقلية كلها هي الشرعيات، من الكتاب والسنة التي هي مشروعة لنا من الله ورسوله، وما يتعلق بذلك من العلوم التي تُهَيِّؤهما للإفادة، ثم يستتبع ذلك علوم اللسان العربي الذي هو لسان الملة وبه نزل القرآن"[5].

وبالتالي سنقع على هذه المعارف النقلية التراثية شَرْعِيّها ولُغَوِيّها، نُعَرِّف بأشهرها واحدا واحدا، ثم نبين كيف كان القرآنُ المجيدُ هو الحاديَ الأبرزَلانقداح شرارة البحث فيها، من جهةٍ أو جهاتٍ حسب ما يُتِيحُه كل حقل ثقافي، فبذلك نكون قد أقمنا البينة على مُدَّعانا.

## 1 ــ مركزية النص القرآني في حقل الشرعيات:

[3] عن تصنيف المعارف التراثية ينظر: ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2007، ص 442 وما بعدها، والتهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ج1، ص5 وما بعدها.

[4] ابن خلدون: المقدمة،ص 443، 444.

[5] المصدر نفسه: ص443.

نقصد بالشرعيات العلوم النقلية الشرعية، حيث نسعى إلى إيراد أهمها هنا مع بيان وجه حضور القرآن فيها حضورا مركزيا:

علم التفسير: علم يُفْهَم به كتابُ الله المُنَزَّل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، أو هو علم يُبحث فيه عن أحوال القرآن المجيد، من حيث دلالته على مراد الله تعالى، بقدر الطاقة البشرية[6]،ولا يخفى أن موضوع هذا العلم هو القرآن الكريم، فقد جاء في كشاف اصطلاحات الفنون:"شرفه من وجوه: أحدها من جهة الموضوع، فإن موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة و معدن كل فضيلة"[7]، ومِنْ ثَمَّ يمكن اعتبار حضور القرآن في علم التفسير حضورا مركزيا من جهة أنه موضوعه الذي لا يبحث إلى فيه.

علوم التجويد والقراءات ورسم المصاحف: ولا يخفى أن القرآن بألفاظه المنطوقة والمكتوبة هو موضوع هذه العلوم، قال التهانوي عن علم القراءة:"هو علم يُبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، و موضوعُه القرآنُ من حيث إنه كيف يُقْرَأُ"[8].

علوم القرآن: هي العلوم والمعارف المتصلة بالقرآن الكريم، سواء كانت خادمةً للقرآن بمسائلها أو أحكامها أو مفرداتها، أو أن القرآن دلّ على مسائلها، أو أرشد إلى أحكامها، وقيل: عِلْمٌ يضم أبحاثاً كلية هامة، تتصل بالقرآن العظيم من نواحٍ شتى، يُمكن اعتبار كل منها علماً متميزاً[9]، ومن نافلة القول أن نقف على مركزية القرآن فيها، فهي العلوم التي نشأت حوله، لكننا نخص علما منها بعنوان مستقل وهو:

علم الإعجاز: والمراد تلك البحوث والدراسات التي ألفت حول قضية إعجاز القرآن، قديما وحديثا، خصوصا ما يتعلق بالإعجاز البياني الذي هو أصل إعجاز القرآن، فقد كان القرآن دافعا له من جهة أنه موضوعه ومن جهات أخرى منها أنه تحدى الخصوم، وأن علماء الإسلام سعوا للدفاع عنه، فكَوَّن ذلك الحراك بحثا ثريا خاصة في علوم البلاغة والنقد.

---

[6] محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون.
[7] التَّهَانَوِي: كشاف اصطلاحات الفنون.
[8] المصدر نفسه.
[9] محمد القحطاني: علوم القرآن عند ابن عبد البر.

علم الفقه: وهو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبُ من أدلتها التفصيلية[10]، فاكتساب هذا العلم من الأدلة تفصيلا وعلى رأسها القرآن الكريم.

علم أصول الفقه: هو معرفة دلائل الفقه إجمالا وكيفية الاستفادة منها وحال المستفيد[11]، فهو علم يُعنى بالأدلة إجمالا وعلى رأسها القرآن الكريم وما يعرض له من عموم وخصوص وإطلاق وتقييد وإجمال وتبيين، وإحكام وتشابه، وأمر ونهي، وحقيقة ومجاز، وغيرها.

علم الكلام: وهو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية، بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة[12]، ولا شك أن تلك العقائد هي التي جاء بها القرآن، وكان دور المتكلمين أن يبرهنوا عليها ويدافعوا عنها بالعقل، ثم من القضايا التي يعالجها علم الكلام إثبات النبوة والطريق في إثباتها هو المعجزة، ومعجزةالنبي صلى الله عليه وسلم هي القرآن، فدخل بحث إعجاز القرآن في علم الكلام، لذا لا تتعجب إذا رأيت الكثير ممندرسوا الإعجاز في التراث كانوا متكلمين أو موالين لبعض الفرق الكلامية، فالجاحظ والرماني والقاضي عبد الجبار كلهم معتزلة، والباقلاني والجرجاني أشعريان، وجهود هؤلاء مشهودة في الدرس الإعجازي، فتبين من هذا مركزية القرآن في علم الكلام وقضاياه.

علوم الحديث: وهي علوم كثيرة، رغم كونها دائرة على السنة النبوية لا القرآن، إلا أن السنة اكتسبت هذه الأهمية من القرآن الكريم، كما قال تعالى:((وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى)).

## 2 ــ مركزية النص القرآني في حقل اللغويات:

علاقة النص القرآني بالظاهرة اللغوية العربية شديدة التداخل والتعقيد، ولا يمكن اختزالها في مخططاتٍ سطحيةِ الطَّرْحِ والتصوير، غير أننا هنا ولحاجة الاختصار نقتصر على بعض الإلماعات إلى قضايا كبرى تفتح أبواب التصور الصحيح لتلك العلاقة، فمن هذه القضايا:

[10] الزركشي : البحر المحيط.
[11] السُّبْكي: الإبهاج في شرح المنهاج.
[12] ابن خلدون: المقدمة.

علوم اللسان خادمة للقرآن:

لا شك أن علوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة وغيرها إنما نشأت في أحضان القرآن، موجَّهَةً بعنايته إلى خدمته، قال ابن خلدون:"علوم اللسان العربي: أركانه أربعة: وهي اللغة والنحو والبيان والأدب، ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة، إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة، وهي بلغة العرب ونَقَلَتُها من الصحابة والتابعين عربٌ، وشرح مشكلاتها من لغتهم، فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة، وتتفاوت في التأكيد بتفاوت مراتبها في التوفية بمقصود الكلام، حسبما يتبين في الكلام عليها فناً فناً، والذي يتحصل أن الأهم المقدم منها هو النحو، إذ به يتبين أصول المقاصد بالدلالة"[13]، وقال:" وإنما وقعت العناية بلسان مُضَرَ، لما فسد بمخالطتهم الأعاجم، حين استولوا على ممالك العراق والشام ومصر والمغرب، وصارت ملكته على غير الصورة التي كانت أولاً، فانقلب لغة أخرى، وكان القرآن منزلاً به والحديث النبوي منقولاً بغته وهما أصلا الدين والملة، فخشي تناسيها وانغلاق الأفهام عنها بفقدان اللسان الذي تنزلا به، فاحتيج إلى تدوين أحكامه ووضع مقاييسه واستنباط قوانينه، وصار علماً ذا فصول وأبواب ومقدمات ومسائل، سماه أهله بعلم النحو، وصناعة العربية، فأصبح فنا محفوظا وعلما مكتوبا وسُلَّمًا إلى فهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم راقيًا"[14]، وقال عن البلاغة:" واعلم أن ثمرة هذا الفن إنماهي فيفهم الإعجاز من القرآن، لأن إعجازه في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الأحوال منطوقة ومفهومة، وهي أعلى مراتب الكمال، مع الكلام فيما يختص بالألفاظ، في انتقائها وجودة رصفها وتركيبها، وهذا هو الإعجاز الذي تقصر الأفهام عن إدراكه، وإنما يُدْرِكُ بعضَ الشيء منه من كان له ذوق بمخالطةِ اللسان العربي وحصولِ ملكته، فيدرك من إعجازه على قدر ذوقه"[15].

## القرآن مُهَذِّبٌ للسان:

اللغة العربية لم تكن على سنن واحد من الأداء، بل كان فيها من الخلاف والتفاوت الشيء الكثير، كما أنها كانت في جوانب عدة منها، متسمة بسمات البداوة من غلظة ووحشية، فجاء القرآن ليجمعها ويوحدها على سبيل واحد كما وحد العرب، ثم هذبها ونقحها وجعل منها لغة

[13] ابن خلدون : المقدمة.
[14] المصدر نفسه.
[15] المصدرنفسه.

حضارة ومعرفة، فعاد على اللغة من القرآن فَضْلُ كونها الحاملَ له والسَّنَدَ لمعانيه، قال القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني:" فلما ضرب الإسلام بجِرانه، واتسعت ممالك العرب، وكَثُرَت الحواضر، ونزعت البوادي إلى القرى، وفشا التأدّب والتظرّف اختار الناسُ من الكلام ألينَه وأمهَله، وعمَدوا الى كل شيء ذي أسماء كثيرة اختاروا أحسنَها سمعاً، وألطفها من القلب موقِعاً، وإلى ما للعرب فيه لغاتٌ فاقتصروا على أسلسها وأشرفها"[16]، هذا وقد عقد شوقي ضيف خمس صفحات في كتابه تاريخ الأدب في العصر الإسلامي ص30 إلى 34، لبيان أثر القرآن في اللغة والأدب، وَفَّى فيها الإشارة إلى أطراف الموضوع.

## القرآن والشعر:

إذا كان القرآن يمثل مركز الثقافة العربية بعد الإسلام، فإن الشعر قبل الإسلام كان هو المركز لتلك الثقافة، كما قال ابن سلام:"كان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوان علمهم ومنتهى حكمهم، به يأخذون وإليه يصيرون...قال عمر بن الخطاب: كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه"[17]، وهذا التنازع على المركزية في حد ذاته سيكون سببا في تعقيد فهم العلاقة بين القرآن والشعر، وإذا كنا هنا نسعى إلى إثبات مركزية القرآن في الثقافة العربية، بما فيها الشعر، فإننا سنُحِلُّ في المركز مركزا آخر، وهذه أول الجدليات العصية، وثاني أسباب تعقيد العلاقة هو الموقفالقرآني من الشعر، إذ لم يكنمؤيدا له على الأقل، بل صرح بذم الشعراء أحيانا وبتنزيه القرآن ونبيه صلى الله عليه وسلم عنه، فإذا استحضرنا طبيعة الشعر العربي في تلك المرحلة وجدناه محملا بكثير من التصورات التي جاء القرآن بمحاربتها، ما يعني أن القرآن وقف من الشعر في صورته النمطية موقفا عدائيا، وفي أحسن الأحوال سعى إلى توجيهه نحو الوظيفة الخيرية باعتباره كلاما كالكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح، إلى هنا تبدو العلاقة بينهما عنادية لا تُمكِّن من اجتماعها، وعليه يتهاوى ادعاؤنا مركزية القرآن في الثقافة الشعرية، ولعل هذه النتيجة التي نصل إليها تُعَدُّ أحد أسباب ضعف الشعر في عصر صدر الإسلام[18]، غير أن الواقع بعد سنوات قليلة من هذا العصر قد يغير الصورة إلى العكس تماما حيث نجد أن جذوة الشعر عادت بتوقدها

[16] الجرجاني: الوساطة.

[17] ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء.

[18] عن قضية ضعف الشعر في هذا العصر والجواب عنها ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، ص43.

المعهود في الجاهلية متخطية كل ما رسمه القرآن من قيود، وهذه العودة منها ما كان على سبيل إنشاء الشعر ابتداءً، ومنها ما كان على سبيل جمع شعر السابقين وتدوينه وإحيائه، وهنا تزداد العلاقة تعقيدا على تعقيد، فهل استبدلت الثقافة العربية مركزا بمركز، فاستعادت مركزها الجاهلي وهو الشعر؟ الجواب بالطبع لا، والواقع شاهد، أو أنها احتفظت بالمركزين معا رغم التنافر؟ وهذا هو الذي حصل، لكن السؤال: هل بقي كل منهما مركزا للثقافة برأسه؟ أو أن أحدهما احتل المركزية وأزاح غيره إلى الهامش دون إقصاء بل على سبيل التدافع الثقافي؟ إن الجواب عن هذه السلسلة من السؤالات يمر بافتراض ندعيه ثم نبرهن عليه، حيث نرى أن القرآن احتفظ بمركزيته الثقافية، وأنه اقتدر على احتواء الشعر، لكن لا بالطريقة المتوقعة من تأديبه وأَخْلَقَتِه، بل بالإبقاء عليه كما هو دون إقرار صريح لمحتواه، والسر في هذا التناغم بينهما رغم ما يبدو من التصادم، أن القرآن الكريم وظف الشعر في وظائف متعددة تخدم القرآن ويستفيد منها الشعر، لعل أبرزها:

ـــ 1 ـــ الشعر شاهد على غريب القرآن: أن القرآن نزل بلسان العرب، ولا يمكن فهمه إلا بفهم لسانها المخبوء في أثناء شعر العرب، لذا استدعي الشعر شاهدا على معاني القرآن، وهو وإن كان مجروح العدالة إلا أن روايته قبلت لأنه الوحيد الذي تحملها، ولنا هنا أن نستحضر صيحة ابن عباس رضي الله عنه وهو حبر الأمة وترجمان القرآن لما لفت الأنباه إلى شعر العرب عند استعصاء فهم القرآن وتفسيره، قال السيوطي:" قال أبو بكر الأنباري: قد جاء عن الصحابةوالتابعين كثيرا الاحتجاجُ على غريب القرآن ومشكله بالشعر، وأنكر جماعة ـــ لا علم لهم ـــ على النحويين ذلك، وقالوا: إذا فعلتم ذلك جعلتم الشعر أصلا للقرآن، وقالوا وكيف يجوز أن يحتج بالشعر على القرآنوهو مذموم فيالقرآن والحديث، قال: وليس الأمر كما زعموه من أنا جعلنا الشعر أصلا للقرآن، بل أردنا تبيين الحرف الغريب من القرآن بالشعر لأن الله تعالى قال: ((إنا جعلناه قرآنا عربيا)) وقال: ((بلسان عربي مبين))، وقال ابن عباس: الشعر ديوان العرب فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه، ثم أخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس قال إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب، وقال أبو عبيد في فضائله حدثنا هشيم عن حصين بن عبد

الرحمن عن عبد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس أنه كان يسأل عن القرآن فينشد فيه الشعر، قال أبو عبيد: يعني كان يستشهد به على التفسير"[19].

ولعل ما يلفت الانتباه في كلام الأنباري أن استدعاء الشعر لتفسير القرآن لا يجعل الشعر أصلا وحاكما على القرآن، والأصل هو ما نعبر عنه هنا بالمركز، أي: أن مركزية القرآن باقية، بل إن الشعر إذا من ضمن الثقافة الإسلامية بفضل هذه الالتفاتة القرآنية إليه.

ـــ 2 ـــ الشعر شاهد على الإعجاز: إعجاز القرآن وهو أصل من العقيدة الإسلامية التي جاء بها القرآن، قد ثبت عندما تحدى الفصحاء من الجاهليين أهل الشعر، فعجزوا عن معارضته رغم تقدمهم في الشعر، فهذا التحدي الذي أكسب القرآن إعجازه، قد أكسب الشعر من جهة خفية شرفا كبيرا بأنه النموذج الذي زكى القرآن فصاحته وبلاغته وإلا فلِمَ يتحدى كلاما كسائر الكلام؟ ومن هنا كان الحفاظ على شعر العرب مطلبا عقديا، رغم ما في الشعر من فساد، وكان ترسيم النموذج الجاهلي منهجا نقديا، بل تطور الأمر إلى ادعاء عجز المحدثين عن مجاراة الجاهليين قطعا للطريق على من تسول له نفسه معارضة القرآن، فانقلب القدح في شعر الجاهلية إلى قدح في الدين، وكان الكاسب الأكبر هو الشعر إذ ضمن بقاءه في ظل هذا التدافع، ودائما بفضل القرآن، ومن هنا تظهر مركزيته أيضا.

فهاتان النقطتان ساهمتا في بقاء الشعر واستمراره، وعلى الرغم من وجود أسباب أخرى منها السياسي ومنها الاجتماعي، إلا أننا اقتصرنا هنا على ما يشهد بمركزية القرآن في الثقافة العربية ومنها الشعر العربي، وربما نضيف إليها أمرا أسلفناه وهو أن العلوم اللغوية من نحو وصرفوبلاغة نشأت لخدمة القرآن ولا شك أن الشعر هو المصدر في استمداد تلك العلوم أحكامها، فكانت العناية به وبالنسج على منواله من هذه المآخذ.

[19] السيوطي : الإتقان في علوم القرآن.

## المصادر والمراجع : /

**القرآن الكريم برواية ورش**

نشوء الحضارة الإسلامية،أحمد القصص،

ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2007

التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1996،

محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون.

محمد القحطاني: علوم القرآن عند ابن عبد البر.

الزركشي : البحر المحيط.

السُّبْكي: الإبهاج في شرح المنهاج.

الجرجاني: الوساطة.

ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء.

شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي،

السيوطي، الإتقان في علوم القرآن.